

قراءة في جماليات الخطاب الدعوي النسوي

— كتاب "منهجية السير إلى الله" للدكتورة كفاح أبو هنود أنموذجا —

— مقارنة تحليلية —

A Reading in the Aesthetics of Feminist Da'wah Discourse
- The book "Manahi'j al-Sayr ilā Allāh" by Dr. Kifah Abu Hunud as a Model -
- An Analytical Approach -

برودي خديجة²

k.baroudi@ens-mostaganem.dz

نضيرة كنوي¹

n.kenoui@ens-mostaganem.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/30 تاريخ النشر: 2026/06/11

Received: 30/03/2026 published: 11/06/2026

ملخص المقال:

تبحث هذه القراءة عن مميزات وسمات الأسلوب الأدبي الذي اعتمدته الدكتورة "كفاح أبو هنود" في خطابها الدعوي، والذي يعتبر أسلوبا فريدا تميزت به في جميع مؤلفاتها، وهو - في نظري - واحد من علامات رهان التمكين والقيادة التي تميزت بها الدكتورة، وتهدف هذه الدراسة إلى تبين مدى نجاعة أسلوب الانزياح، والسرد القصصي في إيصال المعنى المراد ببلاغة، ومدى تأثيره في إعادة تركية وتهذيب النفوس، وهو واحد من أساليب التمكين الذي ساهم في إعادة ترتيب الأولويات في حياة الإنسان وتوجيه كل من فقد بوصلته التي تقوده إلى ربه.

وأظهرت هذه الدراسة مميزات الخطاب الإسلامي الدعوي الحالي من المضمرات، والغاية منه هو الوعظ والإرشاد، أو الردع والزجر، ليستقيم سير العباد نحو الآخرة دار القرار.

الكلمات المفتاحية: الجمالية والانزياح، السرد، الخطاب الإسلامي، الإرشاد.

Abstract:

This Reading Examines The Features And Characteristics Of The Literary Style Adopted By Dr. "KIFAH ABU HUNUD" In Her Da'wah Discourse, Which Is Considered A Unique Style That Distinguished Her In All Her Writings, And Which Is—In My View—One Of The Hallmarks Of The Bet On Empowerment And Leadership By Which The Doctor Was Distinguished, This Study Aims To Demonstrate The Extent Of The Effectiveness Of The Technique Of Deviation And Narrative Storytelling In Conveying The Intended Meaning Eloquently, And The Extent Of Its Impact On Re-Purifying And Refining Souls. It Is One Of The Methods Of Empowerment That Has Contributed To Reordering Priorities In A Person's Life And Guiding Everyone Who Has Lost The Compass That Leads Them To Their Lord.

This Study Showed The Characteristics Of Islamic Preaching Discourse Free Of Implicit Meanings; Its Aim Is Admonition And Guidance, Or Deterrence And Reprimand, So That The Course Of Servants May Be Set Straight Toward The Hereafter, The Abode Of Permanence.

Keywords: Aesthetics And Deviation, Narration, Islamic Discourse, Guidance.

(1) المدرسة العليا للأساتذة مستغانم (الجزائر).

(2) المدرسة العليا للأساتذة مستغانم (الجزائر).

مقدمة:

درج في أفهام الكثير من العوام، وبين القليل من الخاصة أن مصطلح النسوية مرتبط دوماً بالجانب السوداوي للفكر المتمرد على القيم المجتمعية المحافظة، وليس غريب أن يتفشى هذا التحيز خاصة مع ما نشهده من اعتلاء النساء منصات التواصل الاجتماعي يحملن في أيدهن معول الهدم، همهنّ الوحيد نسبة عدد المشاهدات، ومنهنّ المثقفات أو المتعاملات اللواتي يدعون إلى التحرر والمساواة وضرورة تخطي السلطة الأبوية، ولا أقصد الذكورية، التي لا تخرج هي الأخرى عن كونها تيار متطرف آخر ترى أنها أعظم شأنًا من النساء وأحقّ بالحقوق منهن. فوجدنا أنفسنا أمام شكل جديد من الصراع الإيديولوجي.

وبين هؤلاء وأولئك، ظهر فريق آخر يحاول جبر ما تم كسره في المجتمع، من خلال العودة إلى الخطاب الإسلامي والدعوة إليه، بالبيئة والموعظة الحسنة، ومن اللواتي ساهمن في ذلك كثيرات، منهن "حنان لاشين" في الكثير من المؤلفات و"منى سلامة"، والدكتورة "كفاح أبو هنود" (*) التي تمكنت في الفترة الأخيرة من خلال ما جادت به أناملها في مؤلفات كُتِر أن تعيد بناء الإنسان باعتمادها على الوحي والسنة ومآثر السلف الصالح. والإشكالية التي نحاول أن نستشفها من خلال سؤال: كيف تشكلت جماليات الخطاب الدعوي لدى د. كفاح أبو هنود؟ وتنقسم هذه الإشكالية إلى أسئلة فرعية هي:

مما تشكل الخطاب الدعوي عند د. كفاح؟ وما هي الخصائص الجمالية التي ارتكزت عليها؟ وما هي ركائز التمكين لديها؟ تهدف هذه الورقة البحثية أن تتبين مدى حضور المرأة المثقفة ومدى وعيها بإعادة بناء الإنسان اعتماداً على الخطاب الإسلامي والدعوي، وباعتمادها على الأسلوب الأدبي البعيد عن الوعيد والتهديد، محاولة استمالة القلوب ومخاطبة العقول التي تاهت في دوامة العولمة والتحرر والعلمانية.

وقد اعتمدت في خطوات البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي أتاح لي إجراءاته النقدية تسليط الضوء على مضمرات المعنى، واستشف لي المغزى من خلال الخطوات الآتية:

1. حول مفهوم الجمالية:

2. الخصائص الجمالية للخطاب الدعوي من خلال كتاب "منهجية السير إلى الله":

2.1 جمالية الانزياح:

2.2 الاقتباس من القرآن كآلية حجاجية:

2.3 جماليات السرد القصصي:

3. حول سؤال التمكين:

مفهوم الجمالية وخصائصها للخطاب الدعوي من خلال كتاب "منهجية السير إلى الله"

* - الدكتورة كفاح أبو هنود أستاذة محاضرة بقسم الشريعة الإسلامية بالجامعة الأردنية ومدونة بمواقع التواصل الاجتماعي، وقد ألّفت خمس كتب في باب التزكية والدعوة، بداية من كتاب فقه بناء الإنسان من القرآن، ثم في صحبة الأسماء الحسنى، ثم كتاب على خطى إبراهيم، وكتاب في صحبة الحبيب، وأخيراً كتاب منهجية السير إلى الله النموذج الذي تم اختياره للمقارنة في هذه الورقة البحثية. عنوان الكاتبة على الفيسبوك: web.facebook.com/KefahAbuhannoud

1.2 حول مفهوم الجمالية:

تعد الجمالية واحدة من المصطلحات التي يشترك في مفهومها أكثر من حقل واحد، إذ اهتمت فلسفة الجمال في القبض على الحالة الشعورية التي تحدثها في النفس، وليس بالضرورة أن ترتبط بالرضى والسرور، فقد يحدث أن يكون الشعور بالسوء واحد من مؤشرات الجمالية لأنه من البديهي "أن يختلف الناس في فهم الأشياء بخاصة إذا كانت ذو طبيعة مرنة كما هو الشأن في الجمال والقبح وغيرها من المفاهيم المطلقة" (إسماعيل، 1992، صفحة 29)، ويرجع هذا الاختلاف في الفهم، لاختلاف الخلفيات الأخلاقية عند الناس بوجه الخصوص*.

وأما عن علاقة الجمالية بالجانب الأدبي الإبداعي، فتكمن في كونها تعدّ "منهجًا تحليليًا لدراسة نقدية فنية أدبية بلاغية، منهجا يعالج جمالية النصّ الإبداعي كالدقة والجودة والإتقان ونظام التركيب وتناسبه وإيقاع ألفاظه وصوره" (جمعة، 2005، صفحة 17). لهذا لا تبحث الجمالية عن معنى الجمال المادي، أي بمعنى عمّا يتوافق وأفق توقع القارئ، وإنما عمّا يجعل النص الأدبي مؤثرا، أي أنّها تبحث عن جملة من المسائل مجتمعة أو منفردة، كالبحث عن الغاية التي يقوم عليها النصّ، وعن علاقة الشكل بالمضمون في أي نمط إبداعي؟ وعن العناصر التي تشترك في صياغة نصّ ما، وفيما تتكون ملامحه ووظيفته؟ (جمعة، 2005، صفحة 17).

فهذه الأسئلة تستبين عن ماهية الجمالية وما هو دورها الأساسي بالنسبة للإبداع الفني خاصة النصوص الفنية (نثر وشعر).

2.2 الخصائص الجمالية للخطاب الدعوي من خلال كتاب "منهجية السير إلى الله":

يعتبر كتاب "منهجية السير إلى الله" آخر ما جادت به الدكتورّة "كفاح" وهو خامس كتبها، ويدور موضوعه حول الخطوات التي تقود إلى حسن عبادة الله؛ فقد "وُلد هذا الكتاب كمحاولة لكتابة مدونة في السلوك، وخطة طريق في السفر للآخرة، وخطة مرسومة في رحلة السائر نحو الله تبارك وتعالى، أملت فيه أن يكون دليلا تربويا للأجيال والشباب وللمحاضن التربوية ولطلبة الجامعات وكل الباحثين عن خطى منضبطة لفقه الدين" (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 9).

وقسمت الباحثة الكتاب إلى أربعين بابا أو فصلا، أو كما قالت "أربعون خطوة، أو أربعون قاعدة، أو أربعون مجلسا، أو أربعون ليلة تم بها الميقات" (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 11). تحاول من خلال هذه القواعد أن ترسم الخطوات التي يسير بها العبد نحو ربه، حتى لا يزيغ عن الصراط المستقيم، إلى أن يلقي الله وهو عنه راض.

تنوع أسلوب الكاتبة بإدراج خصائص جمالية، منها: استعمالها للمجاز بكثرة، بالإضافة إلى ارتكازها على الاقتباس من القرآن الكريم ليس من باب الاستشهاد والاحتجاج وإنما كنوع من الانزياح الحجاجي - إن صح التعبير -، بالإضافة إلى لغتها العميقة وعباراتها ذات النفس القصير لشدّ انتباه القارئ في زمن كثرت فيه المشتتات وقل فيه التركيز. ومن الخصائص الجمالية أيضا اعتمادها على السرد في كثير من المواضع، من أجل العظة وترسيخ الفكرة.

(أ) **جمالية الانزياح:** ارتبط مفهوم الانزياح بالحقل اللغوي البلاغي على وجه التحديد، فقد أتاح للكتاب أن يُضمروا المعنى وراء العديد من الدلالات، لفتح مجالٍ للتأويل، وكذا إضفاء جمالية من خلال الصدمة التي يحدثها في القارئ أثناء عملية القراءة.

* تلعب الأخلاق دورا هاما في فهم الجمالية، خاصة إذا تعلق الأمر بالأثر الذي تُحدثه في النفس، لأنها ترتبط بالجانب الفني وهذا حقلها الأصلي، لهذا ركز "فرويد" على الفن أثناء تقصيه للعقد النفسية من خلال: (رواية الإخوة كرمازوف، لوحة دافنشي، مسرحية هاملت) فقد تمكن من اكتشاف أهم منابع الفن في النفس البشرية من خلال هذه الأعمال، وأن العقد التي تشكل شخصية الفنان هي ما تحدد أخلاقه، لهذا سيختلف الحكم على الجمالية كل حسب ميوله وتركيبه النفسي.

غير أننا سنلمح هذا الأسلوب في حقل آخر، ألا وهو حقل الكتابة الدعوية، أو موضوع التزكية، الذي يعتمد - في نظرنا - على الأسلوب المباشر الخالي من المضمرات، لحساسية الموضوع من جهة، ومن أجل مخاطبة النفوس المنهكة بحثا عن الراحة من جهة أخرى، وهذا ما اعتمدت عليه "د. كفاح أبو هنود" في كل مؤلفاتها، فأصبغت على كتابتها نوعا من الجمالية ساهمت في ترسيخ الأفكار وشحذ الهمم.

- تعريفه:

يشق المصطلح من الجذع اللغوي (نزع) أي: نزع الشيء ينزع نرحا ونزوحا: بُعِدَ، وقد نُزِحَ بفلان إذا بعد عن داره غيبة بعيدة. (ابن منظور، صفحة 4393)

كما أنّ الكلمة توحى بالحركة وتغيير الاتجاه أو المسار، وهذا ما يتكئ عليه اللفظ في المعنى الاصطلاحي، وهو أن يأخذ اللفظ غير معناه الظاهر الذي يوحي إليه، أي وجود فجوة بين المعنى والكلمة التي تريده، "والانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف" (السد، 2010، صفحة 198)، أي أن تستعمل اللفظة أو حتى العبارة في غير محلها، من أجل إضفاء جمالية تعبيرية وعمق المعنى الذي يحتاج إلى تأويل، وبالتالي إلى معان متعددة.

أما إذا بحثنا عن جماليات الانزياح في الكتاب فإننا سنجد كثرة استعمالها للانزياح التركيبي* من خلال إدراج بعض الحكم، كحكمة "ابن عطاء الله السكندري" في قوله: "كيف يرحل إلى الله قلب، وهو مكبل بشهواته! وكيف يطمع أن يدخل حضرة الله، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته!" (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 14). فإننا نستشعر في قولها "مكبل بشهواته، جنابة غفلاته" انزياح رائع عن السياق اللغوي المعتاد. فاستعملت فعل "مكبل" دلالة على قبضة الشهوات في قلب العباد، واختصرت كلمة "جنابة" معنى نجاسة الغرق في الغفلة، في أسلوب بلاغي فريد، مؤثر في القارئ. فيجتمع لدى القارئ المعنى الديني والخطاب البلاغي الأدبي.

ومن الانزياح التركيبي الذي تتكئ عليه الكاتبة قولها:

"نزيف الرغبة بشهوة تكون في البدء بين المكروه والحرام.

ثم ترانا بعدها، نبحت عن عتبات التلفت.

عن فتوى، تهر عري الخطوات من التقى!

ومن الهدى إلى الهوى أحوال تراها في ثيابك، وحديثك، واختيارك.

وإنما سميت الأهواء أهواء، لأنها تهوي بصاحبها في النار". (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 56)

تكمن جمالية الانزياح في هذه العبارات في دعوتها إلى الحذر من الاقتراب من حمى المكروه الذي سيؤدي إلى استساغة الحرام، مستعملة للاستعارات المكنية دلالة على خطورة ذلك، بأسلوب بليغ من مثل: "نزيف الرغبة، عتبات التلفت، عري الخطوات".

والغاية من هذه الصدمة اللغوية، تكثيف المعنى في اختزال العبارات، أين تعدو اللغة عن كونها وسيلة إبلاغية فقط، إلى وسيلة تحمل مزايا جمالية، والانزياح هو الذي يضمن لها ذلك ف "يُمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي وخصائصه الجمالية والفنية" (دوبالة، 2020، صفحة 497). وذلك من خلال تتبع المعنى الذي يتوارى خلف المجازات في أسلوب أنيق. ولا يتأتى ذلك إلا من خلال كسر النمط الأفقي للقراءة لدى القارئ.

* وسنكتفي بهذا النوع من الانزياحات في هذه المقاربة لأنه الأكثر استعمالا في النموذج التطبيقي، ولأن المقال لا يسمح وإن سمح المقام، وتجاوزا للإسهاب واختزالا للمعنى.

وآلية الصدمة هذه تعتمد على قراءة نظرية التلقي في النقد العربي شعرا ونثرا؛ وهي من الآليات الضرورية التي ألفتها الشعر الحر وقصيدة النثر، والكتابة السردية خصوصا، أما أن نجدها ضمن أسلوب خطاب الدعوة فهذا الذي نراه جديدا وجديرا بالذكر، لذا نرى أن الكاتبة "كفاح أبو هنود" استمالت قراءها من خلالها استعارة أسلوب الحقل الأدبي إلى الحقل الدعوي الغاية منه الفائدة والمتعة معا.

ب) الاقتباس من القرآن كآلية حجاجية:

لا يخرج الاقتباس في مفهومه العام عن حقل التناص والذي يعني "التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى" (السد، 2010، صفحة 107). وهذا التناسل النصي ليس وليد النقد الحديث وإنما هو من الآليات التعبيرية التي تناولها النقد العربي القديم، وقضية السرقات الأدبية خير دليل.

أما الاقتباس فهو أن يزيّن المتكلم خطابه بعبارة من القرآن، ويكون مقبولا إذا وُظِنَ له في الكلام بحيث تكون مندرجة فيه داخلية في سياقه دخولا تاما، وهكذا يُعدّ الاقتباس شكلا من أشكال التناص يأخذ في السياق اللاحق بعدا دلاليا جديدا ذا طابع جمالي (السد، 2010، صفحة 133).

وقد اعتمدت الكاتبة على الاقتباس بشكل لافت، كإجراء جمالي، الغاية منه الحجاج لا الاستشهاد، وهذه الآلية أخذت الحيز الأكبر في الكتاب، وإننا نرى أنها لا تخرج عن موضوع الانزياح في شقه الأدبي الذي ينتمي إلى الأسلوبية السيكلوجية أيضا، التي تركز بالضرورة على سيكلوجية المؤلف (مرتاض، 2010، صفحة 149)، وقد تمكنت - فيما نرى - من التأثير بهذه الآلية في نفسية القراء، من خلال الصدمة التي يحدثها الانزياح بتوظيف الاقتباس؛ وسيظهر جليا ما نهدف إليه من خلال التالي، إذ تقول:

«ارو صحائفك من الحسنات!

وتضلع من الحسنات، ف ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، تضلع في طهارتك، وإذا انسكب الذنب على القلب، فامحه بالحسنة!» (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 32).

ومن خلال قولها: «فالخواتيم المشرقة، إنما تكون لمن ﴿أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾! النهاية دوما، هي قصتك الحقيقية» (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 47).

«وكلما كان الليل حالكا، بحثنا عن الحسنة الأشد إضاءة ﴿كَأَنَّمَا كَوَّكَبٌ دُرِّيٌّ﴾!» (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 93). «ومن ير في الكون ذاته! فإنه لا يرى! ثم سائلها، كم يغضُّ طرفه عن رؤية ذاته، وكم حظه من: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾. تلك ملكية من لا يملك. فكان المآل: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ﴾». (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 140).

تتجلى جمالية هذه المقاطع بشكل لافت من خلال تقديم آلية من آليات تدبر القرآن بالشكل المطلوب، وهو أمر موجّه لكل مؤمن ومؤمنة إذ يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (القرآن الكريم، سورة محمد، الآية 24)، فقد حاولت الكاتبة أن تعيد بناء الإنسان من خلال تجاوز الاكتفاء بإتقان أحكام التلاوة فقط، إلى العمل به "لأنّ القرآن في عالمنا مازال في طور الترتيل، ولم نعلّ به إلى دور التشكيل، نحن نتقن في القرآن الأداء الصوتي ونعجز كأمة عن الأداء السلوكي، ومازال القرآن يتردد في الحناجر، ولم نبلغ به أن يغير المصائر، نحن نمضي إلى الله فارغين من رسالة القرآن أو ربما ناقصين من المعاني، محملين بالصوت فقط" (أبو هنود، 2020، صفحة 13). فقد أخرجت بعض آي القرآن من سياقها المؤلف، إلى سياق جديد يتماشى وفق الخطوات التي وضعتها في الكتاب، ضمن خطة السير نحو الله، من خلال تفعيل أمر التدبر.

إذ ألفينا في بعض كتب التزكية أن يعاد شرح الآية وفق ما تحويه الآية نفسها، كمحاولة إخراج حقيقتها، وعبقها، إلا أن "كفاح" عطرت بعقب الآيات طريق السير إلى الله، لكيلا يتيه المريد عن المراد.

ويبدو جليا صدق عاطفتها وقوة فهمها عن ربها (عز وجل)؛ إذ تدفعنا إلى الأخذ بهذه الآيات بقوة، وهذا ضرب من القيادة والتمكين التي يجب أن تتحلى به المرأة من خلال مكانتها كمسلمة أولا، ثم كأستاذة ومربية ثانيا، ثم كامرأة تقوم بدور هام في المجتمع من خلال ما أوتيت من جوامع الكلم.

ج) جماليات السرد القصصي:

يهتم السرد في مفهومه العام، بـ "الكيفية التي تروى بها القصة" (حميداني، 1991، صفحة 45)، وتغطي الدراسات السردية بكثير من اهتمام النقاد والدارسين، خصوصا بعدما تصدرت الرواية والقصة القصيرة الواجهة الأدبية عالميا، فأصبحنا من الأجناس الأدبية الأكثر تداولاً، تأليفاً وقراءة وتلقياً.

ولعلنا نتساءل عن سبب ذلك، بعدما أقر تاريخ الآداب أنّ الشعر قديما، أخذ أكبر حيز من الاهتمام نظما وحفظا، في الآداب العالمية والعربية على حد سواء، والواقع اليوم يرى أن الفنون السردية قد زحزحت الشعر من مكانته تلك، لأنّ الرواية أتاحت لها المساحة الشاسعة، والتحرر من قيد الوزن والقافية أن تلامس وجدان الإنسان المنهك، من خلال ما تعكسه من تجارب إنسانية مشابهة لواقعه المعيش، كما استطاعت أن تسليّه وأن تروّج عنه أحيانا أخرى.

فأصبحت التقنيات السردية من الوسائل النافعة في التفاعل مع الإنسان، وإعادة توجيه تفكيره، ولما كان الحال كذلك، فإننا سنجد الكاتبة التي وعت الدور الكبير للسرد القصصي في إعادة تشكيل التصورات وإعادة ضبطها، وتصحيح المسارات التي قد زاغ سبيلها، فقد اعتمدت في بعض المقاطع على سرد بعض الأحداث الواقعية، كتقنية فعّالة تهدف إلى ترسيخ المعنى من جهة وتجديد نفس القراءة من جهة ثانية.

وفي ذات السياق، لو أننا تمعنا في كلام ربنا، فإننا سنجد فيه ما يثبت أن للقصة دور في تزكية النفوس؛ فقد تربعت القصة في القرآن الكريم على مساحة تقارب الربع أي حوالي ثمانية أجزاء (عباس، 1430هـ\2010، صفحة 12). والقصة في القرآن واقعية الأحداث والشخصيات، ولم تكن للتسلية أو للترفيه، وإنما للعبارة والعظة.

وقد أورد ابن كثير في كتابه الذي خصه لتفسير القرآن، سبب اهتمام القرآن الكريم بالجانب القصصي، فقد ورد عن "عون بن عبد الله قال: ملّ أصحاب رسول الله ملة، فقالوا: يا رسول الله حدّثنا، فأنزل الله ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾، ثم ملوا ملة أخرى فقالوا: يا رسول الله حدّثنا فوق الحديث ودون القرآن، -يعنون القصص- فأنزل الله: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ فأرادوا الحديث، فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص" (ابن كثير، 1414هـ - 1997، صفحة 366).

فقد وفّقت الكاتبة حينما استعملت هذه التقنية من أجل خدمة رسالتها النبيلة، والتي يبدو أنها استمدتها من القرآن الكريم، ثم من الواقع الذي أضحت فيه القصص الناقل الفعال للأفكار.

فاسمع لقولها حين تقول:

"وأذكر موقف ابن خلدون..

إذ عرض عليه سلطان تلمسان منصبا رفيعا، فاحتال لنفسه بالرغبة في الحج، واعتزل الناس، وعكف على التأليف، فأخرج لنا سفره الخالد (العبر) ذا المقدمة العالية.

مقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع والعمران!

ولو أجاب الأمير، لما خلدته آثاره.

وكان من خبره، أنه جذوة وانطفأت!" (أبو هنود، 2024، صفحة 212).

وقد جاء حديثها هذا في باب خصصته لقضية مهمة جدا هي البحث عن الغاية من الحياة، أن يكون الإنسان ذا أثر وإن عاكسته الخطوب، فلم تجد أفضل من أن تستشهد بأمثلة حية معروفة عند العام والخاص، كشخصية ابن خلدون التي لم تصنعها الصدفة ولا الراحة، ولا حب الشهرة.

ومن النماذج أيضا قولها:

"تهاجر أسماء بنت أبي بكر وهي حامل، تتدثر بالجوع، لأجل أن تقام لنا مدينة.

وكان لأسماء جار يهودي، قد ذبح شاة، فاشتته الطّعام ولا تقدر على الصبر، فتطرق باهم كل مرة تطلب شعلة نار، وما لها حاجة للنار، ثم تجلس تبكي من شدة الجوع، فينتبه جارها، ويرسل لها وقد كادت تمهلك!

أتظنّ أنّها سُورَتْ بالبطّافين من الجنة، دون أن تمهل عليها الفتن! أظنّها استحققت سطرًا في التاريخ، دون أن تصقل بالمحن!" (أبو هنود، منهجية السير إلى الله، 2024، صفحة 216).

تعيد الكاتبة من جديد تشكيل الوعي الإسلامي بسرد هذه القصة، فقد تاهت بوصلتنا عن المغزى من الحياة، وأصبحت أفقدتنا فارغة من الغاية من الابتلاء، فقصة جوع أسماء تعيد ترميم الجوعى في كل بلاد المسلمين، تشحذ همهم على الصبر، من نحن أمام بنت أبي بكر؟! ومع ذلك في قصتها عبرة لأولي الألباب.

وتقول في قصة أخرى:

"حين عاد مالك بن نبي -المفكر الجزائري- إلى الجزائر بعد سنين قضاها في فرنسا، قال -وقد ألمه حال المسلمين- كلمة بليغة «إن قومي اليوم أحوج ما يحتاجون إلى دروس في الفاعلية».

وتأتي الدراسات اليوم لتقول:

«إن مسلم الشرق يعمل برّيع طاقة إنسان الغرب»، وما أحسه مالك منذ أكثر من سبعين عاما ما زلنا نحس ألمه حتى اليوم، فالمسلم الفاعل بكل طاقته راحلة قد رحلت.

وإن صناعة الرّواحل اليوم أراها مهمة الأخطر لكل صلاح منشود" (أبو هنود، 2024، الصفحات 265 - 266).

وقد ذكرت "الدكتورة كفاح" في لقاء نُشر على صفحة في الفايسبوك، أنّ تشكّل وعيها اليوم راجع إلى تأثرها الكبير بفكر "مالك بن نبي" (أبو هنود، لقاء خاص مع الأدبية الدكتور كفاح أبو هنود، 2023)، لهذا نراها تتبنى أفكاره في الإصلاح من خلال هذه القصة التي أدرجتها في كتابها، فهي تحاول أن تربط الخطوات بعضها ببعض لتستقيم منهجية السير إلى الله، إذ لم تعتمد على الجانب الديني أو الفقهي، أو حتى على سرد قصص الصحابة والتابعين -على كثرتها في الكتاب- وإنما اعتمدت حتى على روافد الفكر الحديث، لتبين أن طريقة إصلاح "مالك بن نبي" من الطرق التي تؤدي إلى الله.

وقد وجدت أيضا في فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، مادة ملهمة خاصة في موضوع التصوف وانعزال المسلم واكتفائه بنفسه، موضوعا يستحق أن نتحدث فيه:

«فحين دخل المستعمر الفرنسي الجزائر حرص على تشجيع كل مظاهر التصوف، ومظاهر التدبّر الفردي. وفي وقفة سريعة يشير علماء الاجتماع إلى أن التصوف في مظهره الفردي حالة من الانتحار البطيء لقدرات الفرد المسلم، وأسلوب في الانسحاب من المجتمع إلى حالة انعزالية يرغب فيها المستعمر الذي يدرك أن المسلم لن يغادر هويته، لكنّ المهم أن يفقد فاعليته ومن ثم موته وهو حيّ» (أبو هنود، 2024، صفحة 281).

الغاية من فكرة المستعمر هذه، أن يكتفي المسلم بمشاكله غير آبه لما سيغيره من المسلمين الذين كانوا في زمن غير بعيد مثل أسنان المشط، فهي من خلال هذا النص لا تتحدث عن سلبيات التصوف، ولا عن خطورة اكتفاء الفرد بنفسه بشكل نظري تحذيري، وإنما بيّنت أن العبادة لا تتجسد في طقوس معينة فحسب، وإنما في تأزر المسلمين وتلاحمهم، وأن يشكوا الجسد كله حينما يشكوا العضو، لا كما تريد الصوفية، التي تبحث عن الحالة الشعورية من خلال التجربة الفردية.

سؤال التمكين

1.3 حول سؤال التمكين:

تحاول المرأة المعاصرة أن تعيد الاعتبار لذاتها في مجتمع لم يعد دورها فيه يربو عن تربية الأبناء ضمن إطار أسرتها، ولا عيب في ذلك إن كانت متعلمة وعلى قدر هام من الوعي، بل إننا نلح أنّ أهم أدوارها هو ذاك، غير أنّنا لو تتبعنا تاريخ العظماء من الرجال سنجد أنّ الفضل وكلّ الفضل بعد الله يرجع للنساء، والأم بوجه التحديد أو في كثير من الأحيان، وقصة الشافعي خير برهان، التي كانت تنتظره عند باب المسجد حرصا منها أن يؤدي صلاة الفجر جماعة. وربما لم تكن ترد غير ذلك، لكن لله (عز وجل) شأن آخر.

بل يُروى أنّه "كان عدد النسوة العالمات في حيّ واحد من أحياء الأندلس يبلغ مائة وسبعون (170) عالمة، وكان البخاري وكذا الشافعي يعدّون شيخاتهم كما يعد أحدهم قطع الذهب النادر، فقد ذكر ابن عساكر وحده أنّه تعلم على يد أكثر من ثمانين (80) عالمة وفقية، كانت النساء يومها يشرقن من الشمس على الأمة كل صباح"؟! (أبو هنود، 2020، صفحة 326)

بل وقبل ذلك، منذ فجر الدعوة المحمدية كان للنساء دور هام في حياتهم، ألم يكن للسيدة خديجة من القيادة والتمكين ما يجعلها خير داعم لزوجها في رسالته، إذ تحكي كتب السير أنّها أوّل من بشر النبي بالنبوة، وأول من آمن به من البشر! ثم السيدة عائشة التي روت عنه من الأحاديث ما لم يروه عنه الرواة من الرجال!

وما يجمع كلّ هذه النماذج هو الوازع الديني، أو القيادة ذات الطابع الديني، فكان لهم التمكين، ومن هذا المنطلق لم تخرج الدكتورة "كفاح أبو هنود" عن هذه الرؤية الاستباقية التي هيئتها لها التنشئة والتخصص، فشقت لنفسها طريقا خاصا على منوال السلف الصالح من النساء، تحاول إعادة بناء الإنسان من منطلق الوحي، ولسان حالها يقول أنّ "صوت المرأة الإبداعي لا يهمل القضايا الكبرى، التي تعيشها الأمة العربية، سواء أكانت قضايا اجتماعية كوضعية المرأة في الحياة الاجتماعية وموقف المؤسسات والهيئات المدنية أو السياسية أو الحقوقية التي تطرح فيها المرأة قضيتها التي ما تزال تعرف جوانب منها بعض التقصير" (معتصم، 2004، صفحة 10).

وقد أتاح لها سعة اطلاعها، وتنوع مصادر المعرفة لديها من أن تخوض غمار الإصلاح بما أوتيت من سلطان اللغة، ولم تقتصر الوسائل لديها على النموذج الديني من قصص وعبر على كثرتها، بل اعتمدت طرق أخرى تخاطب بها كل حسب خلفياته، أو توجهاته، ومن بين هذه الطرق نجدتها تقدم معلومة ثقافية تحاول أن تربطها بما يحدث لهذه الأمة من تخلف بعدما كانت قائدة الأمم في زمن مضى، "والإمامة والقيادة لا تصلح دون أقرأ؛ تشير المعلومات إلى أن الذي يقرأ كتابا واحدا كل أسبوع لمدة عشر سنوات، فإنه يقرأ 520 كتابا! فإن استمر كذلك عشرا آخر كانت الحصيلة 1000 كتاب، يرتفع بعدها الشخص ليصبح في مصافي الخبراء العالميين! فإذا علمنا أن المعلومات تبلى كل عشر أعوام، أدركنا صواب المقولة التالية: "إن الذي لا يقرأ، شخص يسهل استغلاله وقيادته، إذ إنَّ القراء هم القادة؛ أخيرا فقط اقتطع كل يوم من مشاهدة وسائل التواصل ساعة للقراءة، ليكون مجموع ما قرأته في عام 365 ساعة!" (أبو هنود، 2024، صفحة 258). وخير برهان على قولها، أن نعيد ترتيب التاريخ قبل وحي ﴿اقرأ باسم ربك﴾ كيف كان العرب قبلها؟ ثم كيف أصبحوا بعدها؟ فلن يتأني المتمكن والقيادة إلا بالقراءة وإعادة تشكيل الوعي الجمعي، من خلال ربط المستقبل بماضي هذه الأمة، ماضيها أيام مجدها.

فقد تمكنت الكاتبة من تشكيل رؤية مستقبلية مثمرة، تعتمد على العودة إلى الماضي، بإعادة صياغة فهم القرآن الكريم وفق سياقه الصحيح الذي أبعد عنه، من خلال الاهتمام بالتلاوة والترتيل دون الفهم والتدبر، ومن خلال استحضار التراث الإسلامي الذي أضحي مجرد قصص نزهو بها حينما نتذكر مجدنا، ومن خلال قصص للمصلحين والمصلحين لعلنا نقتدي بهم.

ومع ذلك، يعلو صوت صاحب يحاول إخماد دور النساء في القيادة والإصلاح، سواء من العلمانيين الذين ركزوا على حرية النساء في اختيار ما يناسبهن، وأن التقدم يكمن في تتبع خطوات النموذج الغربي، أو نظرة الذكورية الدونية التي ترى أن المرأة ليست سوى آلة للولادة للحفاظ على النسل لا غير.

خاتمة:

استطاعت الكاتبة أن تشق لنفسها طريقا في باب الدعوة، انطلاقا من كونها أستاذة شريعة، ومن فهم دورها كامرأة إن تريد إلا الإصلاح ما استطاعت، وقد جذبت انتباه القارئ من كتابها الأول بأسلوبها الفريد في التحليل، ولغتها السلسة حمالة المعاني، ولم يختلف كتابها "منهجية السير إلى الله" عن سابقه إلا في موضوعه، أي موضوع تذليل خطوات السير نحو الله، باستعمالها أساليب الخطاب اللغوي والدعوي على السواء.

والنتائج التي يمكن أن نستخلصها من خلال هذه الجولة ما نصه:

- ✓ تتسم الخصائص الجمالية في كتابة المؤلفة باعتمادها على لين الأسلوب البعيد عن الوعد والوعيد، لتستميل القلوب والعقول، فصدق فيها قول رسول الله ﷺ بشروا ولا تنفروا. فوجدت في اللغة الراقية ضالتها في تناولها للموضوع الإصلاحية.
- ✓ اعتمدت على الأسلوب البلاغي الذي يتسم بانزياح وانحراف الكلمة من أجل معنى أعمق، في أسلوب أدبي بليغ. فلم تعتمد على الأسلوب المباشر وإنما اتكأت على أهم الطرق اللغوية إيصالا للمعنى.
- ✓ استعمال الكاتبة للجمل القصيرة، والعبارات المقتضبة، حمالة المعاني، وهي مناسبة جدًا للقارئ المبتدئ في زمن الملهيات.

✓ لم يكن القرآن خادما لفكرة الكتاب، وإنما مخدوما -إن صح التعبير- فقد بينت بطريقتها الفريدة، كيف يُتدبر القرآن، الذي جعلت منه جزءا هاما داخل الخطاب الدعوي، فقد كان حاضرا ضمن السياق الكلي للعبارة، وهي محاولة منها أن تعيد بناء كيفية فهم القرآن.

✓ اعتمادها على أسلوب السرد القصصي لا من أجل التسلية وإنما من أجل العبرة، وهي من الأساليب الفعالة في إعادة بناء الإنسان، من خلال إعادة السياق التاريخي خاصة إذا تعلق الأمر بالتراث الديني كما هو الحال بالنسبة لقصة أسماء بنت أبي بكر، أو السياق الفكري كما هو الحال بالنسبة لمالك بن نبي الذي لم يكن مفكرا فحسب بالنسبة للكاتبة وإنما معلما ومصلحا.

✓ القيادة إحدى نتائج التمكين، والذي لا يركز إلا على تشرب المعرفة وكثرة القراءة، والعودة إلى تفعيل الخطاب الإسلامي، وفهم مقاصد القرآن ومغزاه من خلال حسن التدبر، واستحضار نموذج رقي الحضارة العربية الإسلامية في الشرق وفي الأندلس.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم. (بلا تاريخ). سورة محمد، الآية 24.
- ابن كثير. (1414هـ - 1997). تفسير القرآن (الإصدار 1، المجلد 4). (سامي بن محمد سلامة، المحرر). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب، باب النون (المجلد 5). مصر: دار المعارف.
- حسين جمعة. (2005). جمالية الخبر والإنشاء - دراسة بلاغية جمالية فنية. - دمشق، سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- حميد حميداني. (1991). بنية النص السردى (الإصدار 1). بيروت، لبنان: المركز العربي الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع.
- عائشة دوبالة. (2020). ظاهرة الانزياح في النقد العربي بين التأصيل اللغوي وتعدد المصطلح. مجلة اللغة العربية، 22. (50)
- عبد الرحمن ابن خلدون. (1984). تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار القلم.
- عبد الملك مرتاض. (2010). نظرية البلاغة (الإصدار 2). وهران، الجزائر: دار القدس العربي للنشر والتوزيع.
- عز الدين إسماعيل. (1992). الأسس الجمالية في النقد العربي - عرض وتفسير ومقارنة. - القاهرة: دار الفكر العربي.
- فضل حسن عباس. (1430هـ/2010). قصص القرآن الكريم (الإصدار 3). عمان، الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.
- كفاح أبو هنود. (2020). فقه بناء الإنسان في القرآن (الإصدار 1). مصر: عصير الكتب للنشر والتوزيع.
- كفاح أبو هنود. (2023، 11 مارس). لقاء خاص مع الأديبة الدكتورة كفاح أبو هنود. قناة الأنيس الفضائية. (مريم بزي، المحاور). تم الاسترداد من : <https://www.youtube.com/watch?v=Gky43K434-k>
- كفاح أبو هنود. (2024). منهجية السير إلى الله (الإصدار 1). مصر: منشورات عصير الكتب.
- محمد معتمد. (2004). المرأة والسرد (الإصدار 1). الدار البيضاء، المغرب: دار الثقافة.
- نور الدين السد. (2010). الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث) (المجلد 1). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- al-Qur'ān al-Karīm. (bi-lā Tārīkh). Sūrat Muḥammad, al-āyah 24.
- Ibn Kathīr. (1414h-1997). tafsīr al-Qur'ān (al-iṣḍār 1, al-mujallad 4). (Sāmī ibn Muḥammad Salāmah, al-muḥarrir). al-Riyāḍ, al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah : Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī'.
- Ibn manzūr. (bi-lā Tārīkh). Lisān al-'Arab, Bāb al-Nūn (al-mujallad 5). Miṣr : Dār al-Ma'ārif.
- Ḥusayn Jum'ah. (2005). jamālīyah al-Khubar wa-al-inshā'-dirāsah balāghīyah jamālīyah fannīyah-. Dimashq, Sūriyā : Manshūrāt Ittīhād al-Kitāb al-'Arab.
- Ḥamīd Laḥmīdānī. (1991). Binyat al-naṣṣ al-sardī (al-iṣḍār 1). Bayrūt, Lubnān : al-Markaz al-'Arabī al-Thaqāfī lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī'.
- 'Ā'ishah dwbālīh. (2020). Zāhirat al-inziyāh fī al-naqd al-'Arabī bayna al-ta'ṣīl al-lughawī wa-ta'addud al-muṣṭalaḥ. Majallat al-lughah al-'Arabīyah, 22. (50)



- ‘Abd al-Raḥmān Ibn Khaldūn. (1984). Tārīkh Ibn Khaldūn. Bayrūt : Dār al-Qalam.
- ‘Abd al-Malik Murtāḍ. (2010). Naẓarīyat al-balāghah (al-iṣḍār 2). Wahrān, al-Jazā’ir : Dār al-Quds al-‘Arabī lil-Nashr wa-al-Tawzī’.
- ‘Izz al-Dīn Ismā’īl. (1992). al-Usus al-Jamālīyah fī al-naqd al-‘Arabī-‘arḍ wa-tafsīr wa-muqāranah-. al-Qāhirah : Dār al-Fikr al-‘Arabī.
- Faḍl Ḥasan ‘Abbās. (1430h / 2010). qīṣaṣ al-Qur’ān al-Karīm (al-iṣḍār 3). ‘Ammān, al-Urdun : Dār al-Nafā’is lil-Nashr wa-al-Tawzī’.
- Kifāḥ Abū al-Hunūd. (2020). fīqh binā’ al-insān fī al-Qur’ān (al-iṣḍār 1). Miṣr : ‘ṣyr al-Kutub lil-Nashr wa-al-Tawzī’.
- Kifāḥ Abū al-Hunūd. (2023, 11 Mārs). liqā’ khāṣṣ ma’a al-adīb al-Duktūr Kifāḥ Abū Hinūd. Qanāt al-Anīs al-faḍā’īyah. (Maryam Bazzī, al-muḥāwir). tamma alāstrdād min : <https://www.youtube.com/watch?v=Gky43K434-k>
- Kifāḥ Abū al-Hunūd. (2024). manhajīyah al-siyar ilā Allāh (al-iṣḍār 1). Miṣr : Manshūrāt ‘ṣyr al-Kutub.
- Nūr al-Dīn al-Sadd. (2010). al-uslūbīyah wa-taḥlīl al-khiṭāb (dirāsah fī al-naqd al-‘Arabī al-ḥadīth) (al-mujallad 1). al-Jazā’ir : Dār Hūmah lil-Ṭibā’ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī’.